إنجيل حوّاء

الأخت ياره متّى

دكتوره في لاهوت الكتاب المقدّس[١]

المقدّمــة

في كتابه الموجّه ضدّ منحرفيّ الإيمان، بعنوان **علبة أدوية ضدّ الهرطقات**، يطرح أبيفانوس، أسقف قبرص (القرن الرابع ب. م.)، مشكلة الحركة الغنوصيّة وكتاباتها المنحولة من خلال أمثلة واستشهادات عدّة. وفي سياق شرحه، يتوقّف ولو بصورة سريعة، على **إنجيل حواء** الذي يذكره بين مجموع ما يذكر من كتاباتٍ، يعتبرها مُنافية، لا بل هدّامة للإيمان المسيحيّ القويم. وفي الواقع لم يترك لنا التاريخ نصّ هذا الإنجيل ولا حتّى بعضًا من أجزائه، سوى ما ورد عنه لدى الأسقف أبيفانوس عَرَضًا، بينما كان يتابع هجومه ضدّ الغنوصيّين[٢].

١ – مؤلِّفُ إنجيل حوّاء

إنّ مؤلِّفَ **إنجيل حوّاء** مجهول الهويّة، والمقطع المذكور منه لا يكفي لاستكشاف ملامحه.

٢ – نصّ إنجيل حوّاء

هذه ترجمة المقطع الذي يورده الأسقف أبيفانوس، موحيًا أنّ هناك جماعات معيّنة تتناقله وتعتمده:

«وقد بلغت من البعض الوقاحة مبلغًا، إلى حدّ أنّهم لا يخجلون من ذكر إنجيلٍ باسم حوّاء ! هي التي يزعمون أنّها وجدت «طعام المعرفة» تبعًا للوحي الذي أظهرته لها الحيّة، وهي التي يعتقدون أنّهم منها متحدّرون. وكما يغيب التوازن والهدوء عن لغة الثمل أو غريب الأطوار، فيضحك تارةً ويبكي طورًا، كذلك يحدث لدى هؤلاء المخادعين، خرّيجيّ الرذيلة... إنّهم يعتمدون على ظهورات غريبة وشهادات حمقاء يتضمّنها هذا الإنجيل الذي يعترفون به، وإليكم منه أحد المقتطفات :

«فوقفتُ على جبلٍ عالٍ ورأيتُ رجلاً طويلاً وآخر أقصر منه. ثمّ سمعتُ مثل صوت رعدٍ، فدَنَوْتُ لأسمع، وإذا بالصوت يقول لي :

«أنا أنتَ، وأنتَ أنا،
حيثُ تكونُ أنتَ، أكونُ أنا.
أنا متناثرٌ في كلّ شيء،
ومن حيثُ تريد، تستطيع أن تجمعني،
ولكن عندما تجمعني،
تجمع نفسك»».

ما هذا الهراء إلاّ من فعل الشيطان ! كيف يمكن للشيطان أن يُلغي بهذا الشكل ذكاء بعض الناس وقدرتهم على التفكير

(١) من راهبات العائلة المقدّسة المارونيّات. أستاذة مادّة الكتاب المقدّس في المعهد الكاثوليكيّ – باريس، وفي جامعة القدّيس يوسف – بيروت.

(٢) *Évangile d'Ève*, in François BOVON et Pierre GEOLTRAIN, *Écrits apocryphes chrétiens*, Gallimard 1997, pp. 481-482.

الصائب، فينحرفوا نحو أمورٍ حمقاء لا رأس لها ولا ذَنَب؟ كيف يمكن له أن يُبعدهم عن كلمة الحقّ...؟»[٣].

٣ – تحليل

هذه الأسطر القليلة التي يستشهد بها الأسقف أبيفانوس هي إذًا الوحيدة التي وصلتنا عن إنجيلٍ منحول نجهل عنه كلّ شيء إلاّ اسمه والقليل الذي أورده أسقف سلامينا القبرصيّة حوالى عام ٣٧٤–٣٧٦. إنّما تسمية الإنجيل باسم حواء تدعونا إلى التساؤل:

لِمَ اختيار إحدى شخصيات العهد القديم؟

هل يكون تقرّب حوّاء من شجرة المعرفة موضوعَ إعجاب، والمثلَ الأعلى المُعطى لهؤلاء الغنوصيّين طالبيّ المعرفة؟

إذّاك يصبح الكلام عنها إنجيلاً بمعنى البشرى السارّة التي تُمنح من خلالها المعرفة وموهبة الدخول في الأسرار المُغلقة عن باقي البشر. ولكن، ممّا يبدو للدارسين من خلال لغة وأسلوب هذا المقطع الأدبيّ الصغير، ينتمي الكتاب على الأرجح إلى الفنّ الرؤيويّ المنتشر بغزارة في الأدب الغنوصيّ، فيروي ظاهرًا ما يكشفه المخلّص لمن اختاره. عند ذاك يمكن ألاّ يكون هذا النصّ المنحول من نتاج حلقاتٍ مسيحيّة بالضرورة.

مهما يكن من أمر، يعبّر المقتطف الذي بين أيدينا عن علاماتٍ كثيرة تميّز الحركة الغنوصيّة:

نرى أوّلاً نوعًا من التماهي بين الأنا والأنت، أي بين المخلِّص والمخلَّص؛ فالفاعل وموضوع الفعل يلتقيان سويًّا في الخلاص ويصبحان واحدًا، كما يَرِد ذلك غالبًا في النصوص الغنوصيّة. أضف إلى ذلك انتشار الزرع الإلهيّ بشكلٍ شموليّ في كلّ مكان وفي كلّ شيء؛ فالألوهة متناثرة وموجودة بانتظار جمعها شيئًا فشيئًا، إلى أن تبلغ الوحدة القديمة المفقودة في هذا العالم. من هنا تبدو ثنائيّة الخير والشرّ، ثنائيّة الله والعالم المادّيّ الذي خلقه إله هذا العالم، إلى أنّ يحرِّر الإنسانُ الشرارةَ الإلهيّة القابعة في باطنه من سجن هذا العالم، فيصِلَ إلى الوحدة المنشودة، وينال الخلاص الآتي. ولتحقيق هذا التحرير بشكلٍ ثابت ومتواتر، تأخذ «المعرفة» الدور الأساسيّ من خلال وسيطٍ على الأقلّ، يساعد الإنسان على تجاوز المراحل الصعبة، والانتقال إلى الأسرار الأكثر عمقًا.

ومن اللافت أيضًا أنّ الذي يحمل الخلاص، أو الذي يكشف الحقائق الخفيّة للكاتب، يجمع أيضًا بين الضدّين: الطول والقِصر. هذه الإزدواجيّة دومًا حاضرة في هذا النوع من الكتابات، وتنسجم دون شكّ مع الأسلوب الرؤيويّ المليء بالخيال والصور المعبّرة، مثل الجبل العالي وصوت الرعد وما يشبه ذلك.

خـاتمة

لقد حفظ لنا التاريخ هذا المقطع المذكور لدى أبيفانوس كشاهد آخر على الكتابات الغنوصيّة التي ازدهرت في الأجيال الأولى للمسيحيّة، وعكست بعض مفاهيم متباينة وآراء متشعّبة تبنّتها جماعات مختلفة في بحثها عن ذاتها وعمّا تعتبره حقيقتها وطريقها إلى الخلاص.

ولعلّ أهمّ ما تلقّننا الكتابات المنحولة من دروس لإيماننا اليوم يُختصر بما قاله المرحوم الأب لويس خليفة، منذ أكثر من عشرين سنة: «غالبًا ما طغى المنحولُ على روحانيّتِنا ومناقبيّتِنا وتقاليدِنا، في حين بَقِيَت روحانيّة الإنجيل الصحيحة خجولة في تراثنا، ممّا أدّى إلى هشاشة روحانيّتنا السياسيّة والوطنيّة والاجتماعيّة»[٤].

(٣) أبيفانوس، **أدوية ضدّ الهرقطات**، الفصل ٢٦.

(٤) الأب لويس خليفة، «الأناجيل المنحولة حنين إلى ميتولوجيّات الشرق القديم! روحانيّة بيبليّة لا تزال هامشيّة خجولة. لماذا؟»، **جريدة بيبليا**، العدد ٨، آذار–نيسان ١٩٩١، ص ١.

مراجع

خليفة لويس ، «الأناجيل المنحولة حنين إلى ميتولوجيّات الشرق القديم! روحانيّة بيبليّة لا تزال هامشيّة خجولة. لماذا؟»، **جريدة بيبليا**، العدد ٨، آذار–نيسان ١٩٩١، ص ١.

ÉPIPHANE, *Boîte à remèdes*.

Évangile d'Ève, in François BOVON et Pierre GEOLTRAIN, *Écrits apocryphes chrétiens*, Gallimard 1997, pp. 481-482.

Épiphane de Salamine *Panarion*

Œuvre de l'hérésiologie chrétienne primitive, le ***Panarion*** (en grec : Πανάριον, «trousse à médecine»), aussi connu sous le nom latin de *Adversus Haereses* (*Contre les hérésies*), est le plus important ouvrage d'*Épiphane de Salamine* (mort en 403).

Épiphane commence à l'écrire en 374 ou 375, et l'achève trois ans plus tard : c'est un traité sur les hérésies, un ensemble de «remèdes contre le poison de l'hérésie», d'après le titre. Il traite de 80 hérésies, parfois organisées en sectes ou en groupes philosophiques, de l'époque d'Adam à la fin du IVe siècle, en détaillant leur histoire et en réfutant leurs croyances. C'est pour une large part une suite à l'*Ancoratus*.

C'est dans le Panarion que l'évêque Épiphane de Salamine décrit *l'évangile d'Ève* et *l'évangile de Judas* comme un écrit de la secte gnostique des Caïnites. Le mot «Panarion» signifie «panière». Il s'agit d'un très important catalogue des hérésies recensées au IVème siècle. Épiphane a collationné tous les renseignements possibles dont il disposait pour réfuter les doctrines des courants hétérodoxes. Il n'hésite pas à recopier les textes d'autres hérésiologues. Pour fonder ses réfutations, il s'appuie la plupart du temps sur la lecture chrétienne des Écritures, Ancien et Nouveau Testaments. Il montre aussi l'importance accordée à la tradition apostolique afin d'affirmer clairement les points de la foi chrétienne mis en cause.

http://fr.wikipedia.org/wiki/Panarion